

مفاتيح الجنان بذكر صفات عباد الرحمن

15 رمضان 1444 هـ - 6 إبريل 2023 م

الدرس الخامس عشر

احترام حق الحياة

العناصر

أولاً: الغاية من إرسال الرسل

ثانياً: أول جريمة عرفت لها البشرية

ثالثاً: من محاسن الإسلام

الموضوع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّاعِي إِلَى بَابِهِ، الهادي من شاء لصوابه، أنعم بإنزال كتابه، فيه مُحكم ومتشابه، فأما الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، وَأَمَّا الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ فَيَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، أَحْمَدُهُ عَلَى الْهُدَى وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ عِقَابِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَكْمَلَ النَّاسَ عَمَلًا فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . أما بعد :

أولاً: الغاية من إرسال الرسل

عباد الله : مازلنا نعيش مع صفات عباد الرحمن وصلنا عند قول الله تعالى : {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} (الفرقان68).

إنهم لا يدعون مع الله إلها آخر ، بل لا يدعون إلا الله وحده ، ولا يعبدون إلا الله وحده ، ولا يستعينون إلا بالله وحده ، شعارهم : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (5)(الفاحة).

بهذا حافظوا على الهدف الأول من إرسال الرسل إلى الخلق ، وهو إصلاح العقيدة ، ولكن الرسل لم يأتوا لهذا فقط ولم تنزل الشرائع السماوية لحفظ العقيدة فقط ، ولكن جاءت لحفظ الدماء والأنفس ، والأعراض والحرمانات، والعقول ، والأنساب ، وكذلك لحفظ الأموال ، ومن هنا كان من صفاتهم أيضاً صيانة الدماء ، واحترام الحياة.

عباد الله : لقد خلق الله الإنسان وكرمه غاية التكريم قال تعالى : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء:70]، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وبعث النبيين والمرسلين ليدلوه على الحق، وأنزل مع الأنبياء والمرسلين الكتب، ووضع الله له شريعة محكمة تضمن له السعادة في الدنيا والآخرة، تلك الشريعة التي تضمن حقوق

الإنسان، وفي مقدمة هذه الحقوق حق الحياة، ولا يجوز البتة لأي أحد أن يسلب هذا الحق أو يستبيح حماه؛ لأن الله وحده هو واهب الحياة، وليس من حق أي أحد أن يسلب هذه الحياة إلا خالقها جل وعلا.

عباد الله : إن الشرائع السماوية أجمعت علي ما فيه خير البشرية ، وما يؤدي إلي سلامة النفس والمال والعقل والعرض ، وقيم العدل والمساواة والصدق والأمانة والحلم والصفح وحفظ العهود وأداء الأمانات وصلة الأرحام وحسن الجوار وبر الوالدين وحرمة مال اليتيم وهي مبادئ إنسانية عامة لم تختلف عليها الشرائع السماوية ولم تنسخ في أي شريعة منها . قال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)﴾ (الأنعام). فقد ذكر سيدنا عبدالله بن عباس أن هذه الآيات آيات محكمات لم تنسخ في أي ملة من الملل أو شريعة من الشرائع . (الكليات الست).

ثانياً : أول جريمة مرتبها البشرية

عباد الله : إن الاعتداء علي حق الإنسان في الحياة ، جريمة قديمة قدم البشرية ، فمن قديم الزمان سولت النفس الأمانة بالسوء للناس أن يقتل بعضهم بعضاً ، من أجل دنيا تافهة ، أو من أجل غضب طارىء وفهم خاطيء ، أو من أجل حسد وكراهية .

منذ كان الناس أسرة واحدة حدثت هذه الجريمة قتل قابيل أخاه هابيل كما ذكر الله في كتابه .

قال الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (28) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (29) فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (30) فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يُؤاري سوءة أخيه قال يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾ (31) (المائدة).

هذا من قديم الزمان ، فظلم الإنسان لأخيه الإنسان قديم ، وأي ظلم أكبر من الاعتداء علي حق الحياة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» (صحيح البخاري). أي جعله طريقة متبعة وسيرة سيئة ولم يقتل قبله أحد أحداً كما أن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . (فيض القدير).

عباد الله : إن الإسلام أعطي لكل إنسان حق الحياة وهو حق مقدس وله أن يتمتع بهذا الحق، ولا يحل لأحد انتهاك هذا الحق ولا استباحة حماه.

ثالثاً : من مظاهر الإسلام

عباد الله : إن الإسلام نهي عن التعدي علي حق الحياة لإنسان ، بل نهي الإسلام التعدي علي حق الحيوان في الحياة فلا تقتله بلا غرض صحيح ، وكذلك لا تذبحه إلا لتأكله ، أما أن تتخذة غرضاً أو تحبسه بلا طعام ولا شراب فهذا تعدي نهي الإسلام عنه .

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَأَذَا قَتَلْتُمْ، فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ، فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» (سنن ابن ماجه).

ويقول الله تعالى في كتابه عن قصة سليمان عليه السلام مع النملة: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (النمل:18).

فإن سليمان لو شعر بالنملة وبأمة النمل ما داسها؛ لذلك قالت النملة: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (النمل:18) فكم من رجل آتاه الله قوة فاستغل قوته في البطش والتعدي على من لا ينبغي له أن يتعدى عليهم، إن النملة لها حق الحياة، فلا ينبغي أن يصادر حقها في الحياة أبداً.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ» (سنن أبي داود).

مضى النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته فوجد الصحابة حمرة، نوع من الطيور، معها ولداها، فأخذوا ولديها، فجعلت تعرش، يعني تحوم حولهم، كما هو العادة أن الطائر إذا أخذ أولاده جعل يعرض ويحوم ويصيح لفقد أولاده، لأن الله سبحانه وتعالى جعل في قلوب البهائم رحمة لأولادها، حتى أن البهيمة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، وهذا من حكمة الله عز وجل، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق ولديها لها، فأطلقوا ولديها، ثم مر بقريّة نمل (أي مجتمع النمل في جحورها) قد أحرقت فقال: من أحرق هذا؟ قالوا: نحن يا رسول الله.

أحرقوها بالنار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار فنهى عن ذلك. (شرح رياض الصالحين).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا. (صحيح مسلم).

ورأى ابن عمر من يخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم وأخبرهم أن فاعل هذا ملعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم . عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفَتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلِّ خَاطِنَةً مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا لَعَنَ اللَّهُ، مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا» (صحيح مسلم).

وعن هشام بن زيد بن أنس بن مالك، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ جَدِّي أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ دَارَ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُصْبَرَ الْبُهَائِمُ» (صحيح مسلم).

(الصبر) قال العلماء صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمى ونحوه.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يَرْفَعُهُ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: «حَقُّهَا أَنْ تَذْبَحَهَا فِتْأَكُلَهَا، وَلَا تَقَطَّعَ رَأْسَهَا فَيُرْمَى بِهَا» (سنن النسائي).

عباد الله : علينا جميعاً أن نقتدي بهؤلاء العباد في صيانة الدماء واحترامهم لحق الحياة .

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا تِلَاوَةَ كِتَابِكَ حَقَّ التَّلَاوَةِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ نَالَ بِهِ الْفَلَاحَ وَالسَّعَادَةَ. اللَّهُمَّ ارزُقْنَا إِقَامَةَ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، وَحِفْظَ حُدُودِهِ وَرِعَايَةَ حُرْمَتِهِ ، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا تِلَاوَتَهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَرْضِيكَ عَنَّا. وَاهْدِنَا بِهِ سُبُلَ السَّلَامِ. وَأَخْرِجْنَا بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَاجْعَلْهُ حُجَّةً لَنَا لَا عَلَيْنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ ارْفَعْ لَنَا بِهِ الدَّرَجَاتِ. وَأُنْقِذْنَا بِهِ مِنَ الدَّرَكَاتِ. وَكفِّرْ عَنَّا بِهِ السَّيِّئَاتِ. وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه راجي عفو ربه عمر مصطفى